مجموعة قصصية

كحل أسود

مُسيّد المومني

كفاءة المعرفة

كحل أسود

مُسيّد المومني

كُحل أسود

مجموعة قصصية

مُسيَّد الموسي

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٤٩٨/٣/ ٢٠٢٣)

٨١٣.٩
المومني،مسيد محمود
كحل أسود// مسيد محمود ذياب المومني-عمان: دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع،٢٠٢٣
(   ) ص.
ر.أ.: ١٤٩٨/٣/ ٢٠٢٣
الواصفات: القصص العربية// الأدب العربي// العصر الحديث.

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبِّر هذا المصنف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

جميع الحقوق محفوظة
(ردمك) 978 -9923-39 -144-0 (ISBN)

الطبعة الأولى: ٢٠٢٣

دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع/ عمان

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله، واستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. NO part of this book may be reproduced, stored in aretrival system, or transmitted in any form or by any means, without prior permission in writing of the publisher.

الإهداء

إلى

كل الذين أهديناهم السنابل الخضر باليمين،

وأهدونا السنين العجاف بالشمال . . .

مع خالص شكري

سارقة العطر

أحتاج منك إلى تفسير: لماذا تنطلق أسراب من الفراشات في فضاء قلبي عند رؤيتك؟ حتى وإن لمحتك صدفة، أشعر بجناح فراشة يدغدغ حجرات فؤادي، فيثير البهجة عندي، يستمر الإحساس داخلي لشهر وأكثر.

وتجدني أحيانا أبتسم دون سبب، حتى شرطي المرور نظر لي قبل أيام بتعجب بعد أن ألقيت عليه تحية الصباح، وأثنيت عليه بصوت عالٍ بقولي: "يعطيك العافية"، تقديرا مني له لتحريره مخالفة بحقي.

لستُ عنيدة، صفة العناد اتهام من المحيطين بي، نعتوني بها حين منعت أي رجل الاقتراب من قلبي ولمسافات بعيدة، فشعور النبذ والخذلان أحالا الطريق الممهد إلى وعر لا يؤدي إلى مكان.

ظننت أني قد أغلقت أبواب قلبي بالأقفال، بعد أن طوقته

بجنازير أدمته، ولا أذكر أنني أعطيتك المفتاح، كما لم أطاوع نظراتك بتحريره من قيوده، لكنك استطعت بكامل صبرك، وبحبك النقي تجاوز ما فرضته أمامك من أسباب زادتك تمسكا بي، كنتُ المنارةَ التي ترشد كافة السفن إلى شاطئ الأمان، وتفتقده في أعماقها، حتى اقتربت سفينتُك بهدوء فلامست روح المنارةِ قبل قلبها.

لم أبرر رفضي لك، لأنك بنباهة المحبين لم تُخدَع بقسوة ملامحي، وعنف ردود أفعالي، أتقنتَ ترجمة حاجتي لرجل يرمم الشرخ بداخلي، ويعيد إحياء شعور الطمأنينة في نفسي، ليتوقف هروبي، وتستكين روحي، بَصُرتَ بما لم يبصر به أحد قبلك.

مسحتَ الغبار وذروتَه في وجه رفضي، لتستقبلني بكامل احتوائك بين يدي صدقك، كشفت الغطاء عن ضعفي وأسندته بتواجدك الدائم دون أن أطلب منك، لا أذكر أنني اشتقت لك، ولم تظهر من العدم أمامي، كأن الخيوط الأثيرية التي تربطني بك تزفك لي دون جهد أبذله، تصلني قبل أن يرتد إليَّ طرفي.

أنا من سرقت زجاجة عطرك، هل تعلم؟!.

بحثتَ عنها كثيرا، جلستُ أراقبك وأحثك للبحث جيدا بين ثيابك، مع أني أحتفظ بها بين ثيابي، وفوق وسادتي، وداخل حقيبة يدي، أينما ذهبتُ حملتُها.. هي جزء منك، رافقتني حتى في أحلامي.

أعلم لو أني رغبتُ بمثلها لأهديتني عشرا أحسن منها، أخذتها بطريقة تعزز كتماني، لأحتفظ بسر يخصني مقابل شفافيتي المحرجة أمام بصرك وبصيرتك، لم يولد فيَّ شعور الانتماء لأي رجل بالقدر الذي شعرته معك... وحدك من علمتَ أنني أخاف العتمة، صنعت لي من أصابع كفك نورا... أرأيت إلى أي حد وصلت بمشاعري تجاهك!.

جفلت أنا المتعلقة بنبضك المتصاعد تجاهي، دفعني مرة واحدة إلى حافة الخوف، شاهدت الخيانة من قمة قلقي، وتخيلت الغدر بأبشع صورة.

انتفضت، لسعني الماضي، لاحقني بشريط طويل لا نهاية له، إلا أنت، حاولت الهروب مرارا وتكرارا، وفي كل مرة تعيدني بحنوٍّ بين ذراعيك، وتستقبلني بابتسامتك العريضة، و: لن أسمح

لك بالابتعاد عني، طالما أتنفس الهواء من رئتيك.

أنا المعتادة على الفراق حتى أدمنته، خفت أن تسبقني للهجر، بكامل غباء الكسر ورهبة الفقد، خسرتك... وبكامل إدراك فداحة حماقتي... ندمت.

أمل

تقلبت ذات اليمين وذات الشمال، جافاني النوم رغم التعب والإرهاق اللذين يفتكان بجسدي، شعور دنو أجلي كان يغزو حجرات قلبي، مما دفعني للبكاء بحرقة، والتفكير في أي المشاريع والأهداف المؤجلة كان يجب أن أبدأ.

لم يحن موعدي بعد، وليس الوقت مناسبا لأموت، ما زالت عندي الكثير من الخطط المؤجلة بحكم الظروف، لماذا كل هذا الضيق فجأة! مر النهار عاديا روتينيا كبقية الأيام، حتى أنني ضحكت مع أصدقائي كما لم أفعل منذ زمن بعيد.

من قال أن الحيوانات هي فقط من يشعر بالكارثة قبل وقوعها؟! جلست القرفصاء وتوسدت ذراعي وبكيت القهر والانكسار، لست -إن ساورك الظن- ضعيفا لا حول لي ولا قوة، لكني جبل يحمل الآن الكثير فوق ظهره، حتى أَنَّ تحت وطأة إنسانيته.

رفعت رأسي، نظرت حولي، كان الدَّمار أكبر من أن تصفه أية كلمة، خواء وسط أكوام من البنايات المنهارة تماما، وأخرى سقط جزء منها، والآخر متماسك بفعل الصدفة لا أكثر، وأخرى عادت كما بدأت كومة إسمنت تتخللها قضبان من الحديد، وثياب ممزقة، ودماء وأشلاء هنا وهناك.

على طرف العمارة المنهارة مسنة لا تتوقف عن العويل والنشيج، تنظر من بين دموعها ضياع: ١٢ شب راحوا، لم يبق منهم ولا واحد، تمسح على وجهها، تهز رأسها يمينا وشمالا بعجز، تنظر حولها وتعود للبكاء: "أنا عن عشرة رجال، لكن مهو واحد ولا اثنين رايحين، ١٢ مرة وحدة".

فرق الإنقاذ المنهكة لا تتوقف، رغم الإعياء البادي على الوجوه، يركضون في كل الاتجاهات بحثا عن ناجٍ واحد مهما كانت حالته الصحية، صراخ رجل فجع بجثث عائلته تنتشل من تحت الأنقاض: كلهم بخير إلا أنا، قسمت ما بقي متماسكا من قلبي إلى مئات القطع الصغيرة.

هل تعلم شعور أن تكون متفرجا بعد أن كنت جزءا من

الكارثة؟! الزلزال شاشة تلفاز كبيرة تعرض من خلالها ملايين المشاهد المتناقضة في نفس الثانية، عائلات مشردة، دفعات غير منظمة من الجثث، سيول من الدموع.

أصابت أحدهم حالة من الهلع من هول الصدمة، أخذ يقفز لأعلى وأسفل، يضحك بصوت هستيري، ومن ثم يركض بشكل دائري، ويعود ليجلس القرفصاء، يسجد حمدا لله، ثم يعيد الكرة مرة أخرى، وبعدها سقط مغشيًّا عليه.

حضنت جمجمتي بكفيَّ كي لا تنفجر، خضضت رأسي في محاولة بائسة لاستيعاب أنني ما زلت على قيد الحياة بعد أن انتشلوني من تحت الأنقاض، آخر ما أذكره قبل الزلزال أني صحوت على صوت يشبه الانفجار، وبعدها أخذت الشقة تموج، وإطارات الصور تتساقط تباعا، إحدى الثُّريات المعلقة سقطت وتناثرت على الأرض قطعا، فجأة دخلت في ظلام دامس، وأخذت أترنح داخل هاوية تركزت بها جاذبية الكرة الأرضية كاملة، وحولي لا شيء سوى الانهيار المرعب... فقدت القدرة على السيطرة على نفسي، ولم أعد أدرك ما حولي، صرخت بأعلى صوتي: الرحمة يا رب، الرحمة يا رب.

قلبي تركز أسفل قدمي، وانقبض بطني حتى ظننته سيبتلع باقي جسدي، ليست البناية التي أسكنها فقط التي انهارت، بل حياتي بأكملها، فجأة دون سابق إنذار، كيف نجوت؟ لا علم لي، وكأن نفحة من الجنة حمتني حتى عُثر عليَّ بين الأنقاض، خدوش بسيطة فوق جسدي، وجروح قاتلة في أعماقي السحيقة الآخذة بالاتساع كلما صاح أحدهم فقدا لأحد أفراد عائلته.

الهواء يحمل رائحة فاجعة مغلفة بالصقيع، الأرض تئنُّ بوطء أطفال غزا الشيب شعرهم، عويل يصم الآذان، ويذيب ما تبقى عند جموع المسعفين من هِمَّة.

لوحة سريالية لا تمتُّ للواقعية بصلة، الدَّمار حولي لم يدع لي مجالا للبقاء على وضعيتي، حاولت إزالة العالق من غبار البناء المتهدِّم عن ملابسي بكفِّ يدي بفعل لا إرادي، مع أن ملابسي لا بقعة بها إلا وتتنفس إسمنتا مطحونا.

شاهدت جموع رجال يتجهون إلى منزل لم يتبق منه إلا الرُّكام، يبحثون عن أحياء في جميع الاتجاهات، انتشلوا جثة الأب، وبعدها جثث الأبناء الأربعة، بحثت في الرُّكام القريب منه

بعد أن سمعت صوتا خافتا غريبا... يا إلهي طفلة لا زال يربطها حبل سرّيّ بوالدتها المتوفاة، وسط دهشتنا جميعا قطعت الحبل السرّيّ، رفعتها عاليا وركضت بها إلى سيارة الإسعاف، رمى أحد الرّجال غطاءً لأدثِّرها، سلَّمتها لسيارة الهلال الأحمر وأنا أبكي: أمل... لقد ولدت أمل.

عروس مراهقة

أخبروني أني قريبا سأكبر عاما، وأستوفي شروط الزواج، وأنا جُلُّ همي أن أحيا كبقية المراهقات، أهتم بجمالي، أخرج مع صديقاتي، حرة دون قيود، وبلا هموم الزواج ومسؤولياته.

لا أملك طموحا عاليا يتكلل بإكمال دراستي، لكنني باختصار ما زلت طفلة أبكي إن لم أجد الطعام جاهزا عند عودتي من المدرسة، أغضب إن لم يحقق لي والدي متطلباتي الصغيرة، ما زالت أتنقل وفي يدي دميتي المحببة لقلبي.

الجميع ينتظر المرشح المناسب لشاغر زوجي، وأنا أدعو الله سرا أن يزيحهم جميعا من طريقي، وشاء الله أن يتقدم لي شخص بعد أن شاهدتني أمه في حفل زفاف، دخلت مع والدتي حربا كي لا أرافقها إليه، لكنني ذهبت مرغمة.

كانت خطبتي أسرع من إعداد منسف لضيوف فاجأونا بحضورهم، في نفس يوم زيارتهم لنا قُرئت فاتحتي، لم يعجبني

ألبتة، شعرت بمعدتي تهرس مثل نصف ليمونة تعصر، حاولت إقناع والدي أنه لا يناسبني، وأنني ما زلت صغيرة على الزواج، لكن لا حياة لمن تنادي، أصرَّ على تنفيذ وعده للعريس وأهله قائلا: أنا رجل ولا أتراجع بكلمة نطقت بها.

خلال يومين تم كتب الكتاب، وجدت نفسي مع خطيب بعد فترة لا تتعدى الأسبوع، عقلي الطفولي لم يستوعب طريقته في التودد لي، حاولت بشتى الطرق أن أعبِّر عن رفضي له جملة وتفصيلا.

الصمت وأنا لم نتفق، لأن كل يوم يمر يقودني نحو حتفي، فالزواج بمجمله موت بالنسبة لي، موت لطفولتي ولأحلامي، ومفهوم الأب الحامي بالنسبة لي، أمسكت الهاتف وطلبت خطيبي، صارحته بأني لا أحبه، وأن والدي يجبرني على المضي في مشروع الزواج هذا، "لأن كلام الرجال على الرجال دين"، سكوته هيئه لي رجلا حكيما: هل تقبل الزواج من امرأة لا تحبك؟!.

بعد قليل من الوقت أجاب: ساعة بالكثير وأكون عندك.

كرهته أكثر، خاصة أنه تحدث لوالديَّ وأخبرهما بأني أعاني مسًّـا، ويجب عرضي على شيخ ليخرج السحر مني، لن أنسى والدي بلباسه العسكري يزمجر وسط غرفتي، بعد أن قطع يوم عمله: لن تصغريني أمام الناس، وستتزوجين منه شئت أم أبيتِ.

خطيبي الذي أكرهه يتوسط مجلس الوالد، ويضرب بكوعه فوق وسائد المجلس، وابتسامة المنتصر تعلو وجهه، كيف يمكن لرجل يتحدث طوال الوقت عن الكرامة والمروءة أن يتزوج من امرأة لا تترك فرصة إلا وتعبر عن كرهها له، حديثا وردود فعل واشمئزازا؟!.

بعد أن عايشت إصرار الرجلين أجبرت نفسي على تقبله ، ورضيت مكرهة بما قسم الله لي، تجاوبت، (تقبلت) بدافع الأمر الواقع، إصراره على التقرب مني وَلَّدَ في أعماقي شعور القرف منه، ولكن ما باليد حيلة.

اقترب الفرح، وأصبح جهاز العروس في حقائب مزركشة يلفها شريط باللون الأبيض، وبطاقات دعوة وسمت بأقلام إخوتي "إلى فلان وحرمه"، الأمر الوحيد الذي سمح لي به بعد

إصراري، أن تحمل الدَّعوة اسمي صريحا إلى جانب اسم العريس بدلا من كريمته، ويوم الزفاف، اتسع في داخلي الرفض لقسوة والدي، ومن رجل يرد على كلمة "أكرهك" مني بقوله: ستحبينني بعد الزواج.

جاء يوم العرس، وكلي أمل بالله أن يحدث أي عارض يمنعه، استمر الرقص لساعتين، وبرَّر أبي دموعي الغزيرة بصعوبة (طلعة العروس) من بيت والدها، "طوق حمام من رقبتي لرقبتك"، عبارة ختم بها والدي مهمته للتخلص من حملي فوق عاتقه، لأنتقل إلى عاتق رجل يدعى زوجي.

قارب الموت

البرد يلبسني كمعطف على هيئة دوَّامة من أمواج لفَّتني ككفن شفَّاف مضيء، احتضن روحي وصعد بها إلى السماء، حاولت التشبث بجثتي العائمة فوق مياه البحر، مددت يدي نحوي فاخترقتني.

أن تكون فردا على ظهر قارب يعج بالمئات ممن تخلوا عن هويتهم على ضفاف ما ظنوه بداية حرية، رجال ونساء وأطفال وطاعنون في السن يجمعهم حلم واحد بوطن أوروبي بديل، بعدما أصبحوا مهددين في أوطانهم بالدهس والحرق والتعذيب، وفرض سياسات القتل والتجويع والحروب، لهو أمر غير منطقي ألبتة، وينافي ميزة التعقل والتفكير بجدية في المقاومة والوقوف في وجه الظلم، والتصدي لجبروتهم.

أمنية كل مهاجر صغيرة وبسيطة جدا، وهي أن يحظى بأربعة جدران تضمه وعائلته دون خوف يغلّفها، بلا رهبة تكبر كل يوم في داخله من قدوم الموت عليهم بهيئة جنود يرونك هدفا ممتعا

لتجريب نوع جديد من التعذيب فوق جسدك، ومن ثم قتلك بأبشع الأساليب التي سمعت بها، وتلك التي لم تسمع عنها من قبل.

القارب صغير، لم يكن يتسع إلا لنصف عددنا تقريبا، حاولنا الاعتراض، لكنهم أمرونا بالتخلص من متاعنا للتخفيف من الحمل ليتمكن القارب من الوصول إلى إيطاليا دون تعرضنا للخطر، صرخنا بوجوههم معترضين، وتشابك بعضنا معهم بالأيدي، مرغمين وجدنا أنفسنا في منتصف البحر، يحيطنا الأزرق من كل جانب، يظلل رؤوسنا ويحمل أقدامنا، أتعلمون؟! أعتقد جازما أن عالم الألوان الذي اكتشف أن الأزرق يريح الأعصاب لم يسافر في البحر مطلقا! أطبق الهواء على مسامي، خنقني حتى شعرت بلسع سوط من النار يخترق كتفي الأيمن، ثم وبتسارع عجيب وقع فوقي أحد جيراني في القارب، منعتني من دفعه وجوه غادرتها الحياة، تساقطت تباعا حولي، ودماء غطت أرض القارب، تشربتها ملابسي، وتلطخ بها وجهي، تعالى الرجاء: الرحمة، الرحمة... حقد عصابة التهريب واللؤم في داخلهم، شعور السادية والتملك والتسلط منعهم من غفران

اعتراضنا على صغر القارب، ما دفعهم للحاق بنا في عرض البحر وقتلنا دون رحمة، مضحك -إن تذكرت- أنك هربت من الموت، لتجد أنك تسقط في حضنه مباشرة.

من السعادة، والعروس التي كانت ترافق عريسها في القارب فاقتنا استجمعت قواي وقفزت في الماء المتجمِّد، لم أتقن السباحة يوما، هذا ما تذكرته بعد أن أخذت جرعات الماء تتدفق داخل فمي لتحل محل الهواء، قاومت، دفعت بالماء أسفل مني، تخبطت... ثم فقدت السيطرة على جسدي، ووجدتني أعوم في الفراغ، ترافقني رائحة العفونة، اعتقدت في البداية أنني وحدي من دخل النفق الطويل، لكنني كلما توغلت وجدت أحد المهاجرين، حتى فاق عددنا المئتين، تسابقنا فيه حتى صرنا أقرب للسماء، تحدونا رغبتنا في الاندماج وهذا الضوء البديع في آخره، أردنا أن نصل نهايته، ولكنني أقسم أنني ركضت لمسافة أكثر من عمري بكثير، أصابني وكل من معي شرر من فرح وغبطة، والكثير الكثير بهجة، فسابقتنا جميعا حتى لم نعد نبصرها.

لملم الموت أرواحنا بهدوء، كأنه ينظمنا عقدا من زهور، يتوِّج به رأس السكينة حولنا: الموت رحيم، وإن كان بديعا إلى

هذه الدرجة، فلماذا نخافه؟! لماذا نتشبث بالحياة؟! حدثت نفسي الوحيدة منذ انطلاقنا من ميناء الإسكندرية، كنت مستمعا أكثر مني متحدثا، وكأنني فقدت لساني على الشاطئ، صادقت الورق، أنجبت قصيدتي الأولى، وأودعتها البحر... بكيت حزنا وفقدا، والآن أبكي فرحا وشوقا، والدي الشهيد أمامي مباشرة، لم أصدق نفسي، مددت يدي تجاهه... هممت بالحديث إليه فشعرت بجسدي ينسحب بعيدا للخلف، وهاتف يقول: لم يحن دورك بعد، جررت مرغما، شاهدت القارب وقد فارق الجميع الحياة، حمت فوق جسدي المسجى فوق سفينة وحولي الكثير من البحارة الإيطاليين، أحدهم يحاول إنعاشي، لبستني مجددا، تدفّق الماء خروجا من فمي، وعدت إلى الحياة.

لا أشبه أحدا

قريبة جدا من النرجسية، بعيدة عنها بنفس القدر، ذلك أني لا أشبه أحدا.

حرصت كل الحرص على بقائي منفردة بشكل استثنائي، وهذا ما دفعني للعمل بكامل طاقتي لأتعلم وأستزيد من أي مصدر بعيدا عن العائلة، بعيدة عن أمي، أمي التي حاولت أن تغرس كامل شخصيتها في شخصيتي، دون مراعاة لكينونتي وانفرادي، وما أتعرض له من مصادر مختلفة لاختيار توجهي في الحياة.

لم تفهم مقاومتي إلا عقوقا، ومع استمرار تلقيمها لأذني بعبارات شتى،كاتهامي بكرهي لها، وعدم تحملي لحياتي معها، تحول كلامها إلى حقيقة، حتى أنني بدأت أنفذ كل ممنوع، حَرِصتْ على لفت انتباهي له، بداية من تحرري من اللباس الذي عودتني عليه، إلى السهر لأوقات متأخرة خارج البيت مع مجموعات من الشبان والشابات، حتى إدماني على السجائر،

وشربي الكحول.

كان الفجر موعدا لعودتي، لم أحاول في أية مرة التسلل خلسة، شعور التحدي لكسر سيطرتها علي فاق شعوري بالحرج والخوف، تحررت مرة واحدة، كأن طاعتي منذ نعومة أظفاري وسعيي لإرضائها شهاب ارتطم في تذمرها الدائم من سلوكي، وإهمالي ومطالبتي بالمزيد، والمزيد من نعم... حاضر، رغم إحراجها لي في العديد من المناسبات الاجتماعية، ووصفها لي بأني حمل زائد، وأنها أفنت عمرها من أجل تربيتي، وعدم موافقتها على الزواج بعد موت أبي من أجلي، في كل مرة أحمل ثقل ذمها لي حشرجات بين ضلوعي، وأسير خلفها مطأطأة الرأس، وشعور التخلي والنبذ يرافقني، من قال أنه يجب التخلي عنك فعلا لتشعر بالنبذ؟!.

كنت أحيا في حضن أمي، وأشعر بعدم حبها لوجودي في كل مرة تنظر لي فيها بازدراء، مع رفع شفتها لأعلى دليلا على وصولها إلى مرحلة القرف مني، وعجزها عن تخليها عني بنفس الوقت خوفا من حديث المجتمع عنها، ووسمها بقليلة الأصل.

حمَّلتني ذنب عدم قدرتها على الزواج، وعنايتها بي، حتى انفجرت في وجهها مرة، بعد أن شتمت اليوم الذي ولدتني به أمام والدة زميلتي في المدرسة، فصرخت... وأجهشت بالبكاء،إنها لن تسمع صوتي بعدها أبدا، ولن تراني ما حييت، وهذا ما حدث، انقلبت إلى شخصية ثانية لا تشبه الأولى بشيء.

مقرفة مقززة كما كانت تنعتني كلما لمع حلق أنفي في عينها، أو أبصرت وشما جديدا فوق جسدي، طردتني كثيرا من المرات من المنزل، لم تتنازل عن كبريائها ولو قليلا، لم أستطع كسرها، وبعد أن كانت تلعن اليوم الذي ولدتني فيه، أخذت تلعن كل لحظة تجمعنا سويا، حتى صرخت بوجهي مرة... أرجو من الله أن تعودي لي مكفَّنة لأرتاح من عارك.

اللذة في قهرها تركت في نفسي زهوا لم أستطع تجاوزه، شعرت بالحرية لأول مرة بعد تجاوزي الثلاثين من عمري، لم أترك ممنوعا إلا وجربته، وبعد أن كانت تتفنن باختيار شريك حياتي، ووضع الشروط لتناسب صهرا يحسدنها عليه نساء الحي، أصبحت تستقبل ما هب ودب، هذا شجعني لأتصرف بوقاحة كلما جلست مع أحدهم،أتودد له كأنني زوجته في غرفتنا

الخاصة... هذا أصاب الرجال بالجنون، ودفعهم للهروب فور اقترابي الشديد منهم، أو تجاوزي حدود اللباقة بلمسي يد بعضهم.

استرجلت، شعرت بهرمون الذكورة يضرب أعماقي السحيقة، مما دفع برغبتي بالسيطرة والتحكم لأعلى مستواها، أصبح كل من في العمل، حتى رئيسي يعمل تحت أوامري، زملائي، العملاء أيضا، لا رفض، لا تقاعس، كل ما أسمعه منهم: تحت أمرك، كما تريدين.

شهوتي للتحكم بهم فاقت أية رغبة أخرى، حتى رأيت نفسي كيانا لا يمكن -رغم أخطائه- التطاول عليه، ورفض أوامره.

في أعماقي كنت على وعي بكلامي الجارح، وأثره عليهم،لكنني لم أحاول تصحيح أو محو نظرة الانكسار بدواخلهم، شعور السطوة أفقدني تعاطفي، لا بل رغبت بالاستزادة من ضعفهم لأغذي قوتي، حتى وصلت إلى عرش السلطة بتسلم مكانة عالية في المجتمع.

الجميع دون استثناء بحاجتي، ولأن طلباتي مجابة، بدأ الشكر

والدعاء لمن رباني يصل لمسامع أمي، لم تكن تمر في شارع إلا وقدمت لها كؤوس "ربنا يخليلك إياها ويعلي مراتبها"، رغم ذلك، لم تنطق بكلمة مدح واحدة بحقي، بقيت في نظرها الحمل الزائد الذي تمنت أن تتخلص منه ولم تستطع، الأم المثالية، والمرأة الحديدية، والأرملة الفريدة بنظر المجتمع، تلك هي الأم التي أسعى جاهدة بكامل انفرادي وتميزي أن لا أشبهها أبدا.

قدر هذا الخدر، التبخر، كانت تشتهي لو حدث، لكن رقعة التسرب اتسعت في أوردتها، بدءا من انفجار هوى بمعدتها.

لم يكن على والدتها أن تعبر عن استيائها كلما حاولت أن تفضفض لها عن مشاعر كرهها المتزايد لزوجها، حتى لو من خلال استرشادها بأحد أمثالها الشعبية : "اللي مو بإيدك بكيدك".

- صدقتِ ، فلو كان الأمر بيدي لما تزوجت منه، ولما عانيت الكآبة طوال الشهر المنصرم، لكن كأنما صحوت من حلم لأجدني زوجة لأحدهم، ألم يكن بإمكانك إسداء نصيحتك لي بالتروي قبل موافقتي على الزواج، تخيلي للحياة الزوجية لم يتعد عن كونه يوم زفاف أرقص به حتى أتعب، دون أن يتبعه الكثير الكثير من مسؤوليات فاقت طاقتي على التخيل والتحمل.

توجب على والدتها أن تبتلع مثلها حتى لو غصت به، فبدلا من تلقيمه لأذنيها بقصد إضفاء العقلانية على تصرفاتها المتلاطمة، دكتها دفعة واحدة بقبضتيها حتى أدمى زجاج المرآة

المتطاير راحة يدها.

الدماء المتجمهرة باتساع بقعة يزيد كلما تتابع سقوط القطرات على الأرض، خثر الدماء في مقدمة أنفها، زفرت، تنهدت، لا طاقة تسند آمالها، بعثرت كريش طائر جريح حمله خيالها لبقعة أرضية تسكنها وحدها، فبصقت غلها في وجه البرود.

تمنت حينها لو أنها تجتث جذوره وتغرسها في قلبها لينمو بين ضلوعها،لو أنها تمزق مدينتهم قطعا صغيرة، ترقع بالجزء الذي يضمه نزفه من قلبها... لم يعد للأماني من داعٍ، فالإجابة سكين، والوعي نهاية.

توجهت للخزانة، فتحت بابها فانهارت أكوام الملابس فوق رأسها، تربعت على الأرض وأجهشت بالبكاء، علاج للنفور يا الله...

- ما كل هذه الفوضى... نظر في وجهها: أتبكين؟!.
- نعم أبكي حظي العاثر فيك، همست لنفسها وأعطته ظهرها.

▪ مضحكة أنتِ، قليل من الأعمال المنزلية المتراكمة تدفع بك للبكاء! فعلا أنكِ طفلة.

هل توجد وسيلة لإفهامه بأنني أتمنى لو سقط هذا السقف فوق رأسينا لعلِّي أتحطم وأرتاح من عيشتي معه.

هل عصيّ على ملامحي الساخطة عليه أن تعبر له عن أن تواجده في نفس محيطي سبب رئيسي للإجهاز على ما تبقى من أثاث هذه الغرفة، وأن الحيز المكاني آخذ بالتقلص على حساب تمدد زمني يربطها شرعيا به!.

▪ لماذا لا تتحدثين معي، منذ تزوجنا وأنتِ في انغلاق مستمر على نفسك؟ أشتهي نقاشا بيننا حتى وإن كان صياحا، تحدثي إليَّ يا امرأة.

▪ لعل حرفا ساكنا يخرس لسانك فلا تنطق بعدها، ابتسمت لهذه الفكرة.

ابتسم بدوره، أأعجبتك فكرة الصياح عزيزتي! طوَّق خاصرتها، تلقف كفها، انزلقت أصابعه، صاح: دم، أأنتِ بخير، يا إلهي الكثير من الدم... ماذا فعلتِ بنفسك! ألن تتوقفي عن

معاقبتي على زواج وافقتِ عليه بملء إرادتك!.

أمسك ذقنها، ضم شفتيها بين أصابعه، كز على أسنانه: لم أكن تجربة لكِ حتى تقرري أن الحياة معي لا تعجبك، وأن لا حل بيننا إلا الانفصال، لن تحصلي على الطلاق ما دمت على قيد الحياة، ستدفعين ثمن لهوكِ بمشاعري!.

- ضحكت بهستيريا: سأتخلص مني علِّي بذلك أتخلص منك.
- جرها ناحية المرآة المهشمة، طالعت انعكاس وجهها مشوها: يكفيني أن ينال منكِ... سخطكِ علَّي.

دفعها ناحية الأرض، أغلق الباب على صراخها: أكرهكَ أنا أكرهكَ ألا تفهم.

مشهد على لسان جثة

الوطن المتهالك المنهال داخلك حد التراكم، يتيح للاختناق مساحة لا بأس بها لينمو ويتسع، فتفقد القدرة على التنفس أو الكلام بفعل صدمة، يبدأ البرد باكتساح أطرافك، يبث الخدر لباقي جسدك، يتبعها شلل، ومن ثم تطبق جدران المحيط حولك عليك بقوة كأنك في رحم، مهما حاولت أن تولد منه ضاق عليك أكثر، لا مخرج، لا حبل سري يغذيك، لا نافذة تسرب الهواء إليك والانهيار كنتيجة لما سبق حتمي لا مفر منه.

الأشلاء المتطايرة من حولي، ومعها كفي، وطبقة علوية من كتفي لم تدع لي مجالا للالتفات لأستطلع ما جرى.

الهدوء الغريب الذي لفتت انتباهي له صديقتي -في الشارع رغم الازدحام المروري- ينبّئ بكارثة.

- خيالك خصب هذا الصباح .
- كوني جدية لمرة واحدة في حياتك، الأوضاع الأمنية غير

مستقرة هنا، والجميع مستهدف، حتى أسراب الحمام في السماء.

- "بلشنا آكشن!!"
- حاستي لا تخيب، عجلي الخطى لعلنا ننقذ أرواحنا البائسة.
- لن تطير أرواحنا في الهواء يا عزيزتي، لا تقلقي.

وميض أحمر قوي، صوت هادر من مكان ما خلفنا، سبقه رجل متلحف بالسواد مر بتؤدة من جانبنا بكفين في جيوب معطفه، ثم كيف استحال بعدها كتلة من لا شيء! لا أدري!.

رأس دون جسد ارتطم بخدي الأيسر كقذيفة مدفع، لطخ رقبتي وقميصي الأبيض بالدماء.

تلاه هجوم شرس من أعضاء بشرية انهالت على جسدي المقذوف في الهواء، أقدام، سيقان، أذرع، أصابع، أحشاء، وحقائب قماش ممزقة، أخشاب... لم أر مصدرها، زجاج محطم... مزيج غريب من الكائنات تراكم فوقي، تناثر حولي، يغمرنا الماء!.

كنت أعتقد أن النوافير في وسط الساحة قبالة الشارع الذي

أقطعه كل يوم قاصدة العمل، وجدت لتمنح للهواء رطوبة تخفف على العابرين قيظ الصيف، وتمنح للمحيط جمالية الصوت والصورة ، ظننت وظننت حتى شرقت بالماء و شخصت عينايَ.

كحل أسود

ليست غلطتي، ولم تكن يوما، كان حظي العاثر لا أكثر.

ليس من العدل عقابي على سوء تَوَقُّعٍ ارتكبته عن سابق شعور بحب طغى على بصري، فجعلني أتجاهل بعض الحقائق التي تشير إلى أننا غير متكافئين، وأعمى بصيرتي فجعلني أتغاضى عن المنطق لأستبدله بأحلام وردية، ظننتها مناسبة لإتمام علاقتنا.

لم يكن العمر مشكلتنا، فقد تجاوزت منتصف العشرين، وهو في بداية الثلاثين، بل عدم النضج هو الذي كان طامتنا الكبرى.

علمونا نحن النساء إتقان فنون الطهي، ورسخوا فينا تدبير الأعمال المنزلية منذ النشأة الأولى، ومن ثم زرعوا في عقولنا هدفا لإكمال دراستنا الجامعية بقصد الحصول على زوج مناسب، ذلك لأن فرص الزواج للمتعلمة أكبر وأفضل بكثير من غيرها.

لقنونا بوعي، وأحيانا بدون وعي أهمية الزواج في عمر العشرين، لئلا يفوتنا القطار خوفا علينا من لقب (عانس)، هذه الكلمة المرعبة التي تخشى أية عائلة أن توسم بها إحدى بناتها، هذا هو السبب الذي أودى بمستقبل حياة كثير من البنات نتيجة الزواج غير المتكافئ.

ليس الذنب على الأهل وحدهم، بل إنه مجتمع كامل يعمل على مبدأ درء القيل والقال بوأد الألسنة قبل الكلام، ليجد نفسه في مرمى النميمة، تلوكه الأفواه عند أول أحدوثة تمس عائلته مهما كان حجمها.

لم يكن حبنا صدفة كما أقنعته، بل ترصدته دون أن يلحظني، تقصدت أن أتواجد في أماكن لقاءاته بأصدقائه، واتبعت إرشادات صديقاتي لإيقاعه في شباكي، ولم يمض شهر إلا و(أحبك) تطرب سمعي، وتخطف أنفاسي، سنوات الغرام مرت معه كأنها أيام، وتزوجنا بعد أن أثبت لي ولأهلي أنه رجل يستطيع الحصول على وظيفة مرموقة براتب عالٍ يمكنه من فتح بيت يليق بالمستوى العالي لابنتهم.

ذهبت السكرة وجاءت الفكرة، انتهت مرحلة العسل، وبدأنا مرحلة الجد، ومهما قيل لي بوصف الزواج والتزاماته ومسؤولياته، إلا أنني لم أكن لأتخيل أنه سيعطي للحب شكلا ومفهوما آخر لا يمكنني تقبله، وأن الحبيب الذي كان يهتم بأدق تفاصيل حياتي، ويسعى بكامل طاقته لإرضائي، سيتحول إلى زوج جل وقته العمل الذي يسعى من خلاله لنيل ترقية ترفع من مستواه الاجتماعي والمادي، وكلما حصل على مراده زاد طموحه، وقل الوقت المخصص لي.

قابل الأسباب التي أدت لطلبي المتزايد الاهتمام بي كما قبل الزواج، بتبريراته بأنه زهق من النكد في البيت، وتعب من ضغط العمل الذي يقع فوق كاهله في الخارج.

هو لم يستوعب حاجتي للاحتواء، وأنا لم أغفر له إهماله، فاستبدلنا كلام الغزل بالشتائم، وبقصد قهره، أصبح فقره قبل الزواج فرصتي لمعايرته بنقصه، بعد أن يسبقني ويتهمني بالأنانية والغرور وتكبري عليه.

بعد أن كنا مثالا لأجمل قصة حب في حَيِّنا، صرنا مضرب

مثل في المجتمع من حولنا في فشل الزواج المبني على الحب.

بدأت شلالات الكحل الأسود تسيل فوق خديها، وتمتد إلى الأسفل لتلطخ عنقها، لم يكن الدمع سببا لها، فقد تحجرت مشاعرها حتى أنها لم تعد تشعر بالمياه الباردة المنصبة من صنبور (الدش) فوق شعرها وهي متقوقعة بكامل ملابسها فوق أرضية الحمام ترتجف حنقا، بعد أن رمى عليها يمين الطلاق وغادر المنزل.

يومُ نَحِسٍ

المشي... وترك سيارتها في المنزل، أسوأ قرار اتخذته هذا الصباح، حاولت تذكر أول شخص صادفته ليكون يومها بهذا السوء والبشاعة.

نظرت في وجوه عابسة من أثر أشعة الشمس، حرارة لا تحتمل، ألصقت ملابسها بجسدها، العرق اتخذ مجرى فوق عامودها الفقري نزولا إلى أخمص قدميها، زاد شعرها المنسدل إلى ما تحت كتفيها الطين بِلة، فرفعته بمقبض شعر أعلى رأسها، أمسكت ورقة كانت في حقيبة يدها وأخذت تلوّح بها أمام وجهها في حركات سريعة جلبت الهواء الساخن من الصحراء، شتمت حظها.

رياضة المشي في هذا القيظ خيار سيء غير صحيح، ليتها لم تذهب لخبيرة التغذية تلك: ما حدث حدث، -هدأت نفسها-، ذهبت وانتهى الأمر، هل توجب علي تطبيق نصيحتها باللجوء للرياضة كطريقة لتسريع خسران الزائد من وزني في هذا اليوم

تحديدا!.

▪ هذا الحر لا يبرر ارتداء هذه الفتاة اليسير من الملابس في شارع عام، اختارت شجرة وارفة الظل للابتعاد عن طريقها، جلست وأخرجت زجاجة ماء فقدت خاصية البرودة، رشت بعضا منها على وجهها وفوق شعرها، تناولت ما تبقى وليتها لم تفعل.

لم تفلح نظرات الاستطلاع التي أطلقتها للبحث عن بقالة قريبة، إلا في رؤية المزيد من الفتيات بتبرج مغالى به، ولباس يكشف الكثير من أجزاء أجسادهن: طيب... ألن تكملي رياضتك السخيفة بدلا من التدخل فيما لا يعنيكِ! وقفت وأزالت بكفيها الغبار العالق خلف تنورتها.

▪ ١٠ دنانير للقبلة، خفض سرعة سيارته لتناسب مشيتها، حثت خطاها وحاولت الابتعاد عنه: ٢٠ طيب، وهذا سعر لا أدفعه لأي منكن بالعادة، ولكن تسحرني الأجساد المكتنزة.

حاولت تغطية مقدمة جسدها بحقيبة يدها: ما قصده بـ"منكن"، تدفق العرق غزيرا من جبهتها ووجنتيها، تسمرت في مكانها بخوف، أشاحت بوجهها تبحث عن رصيف خالٍ تعبر من

خلاله للجهة المقابلة، تدفق السيارات السريع وانطلاق زامور طويل من سيارة سوداء مسرعة تشبه سيارة أخيها، رافقها توقف سيارة هذا المتطفل أمامها مباشرة، وقف حائلا لإتمام نيَّتها.

تراجعها للخلف قطعه صوت أنثوي عالٍ للفت انتباه المتطفل: ما بال ذوقك تدنى فجأة، ألم نعد نلبي احتياجاتك... أم أنك تبحث عن نكهة جديدة؟ تبعتها بضحكة صفيقة، أحرجتها.

هرولت من حيث أتت: الحمد لله لم يشاهدني أحد... وإلا لابتليت بسوء السمعة، حاولت إيقاف سيارة أجرة، لكنه مر كأن لم يرها، استمرت بالهرولة: هل مررت من شارع أم بيت دعارة؟ ألن ينتهي هذا اليوم النحس؟!.

قطعت مسافة لا بأس بها حتى وجدت سيارة أجرة تقلها: إلى السوق لو سمحت، لن يمحو القرف من نفسي إلا شراء أي شيء جديد.

لم تشعر بكثرة ما اشترت إلا بعد أن أثقل الحمل يديها، أذان العصر رافق دخولها للمنزل، قابلها هواء المكيف البارد: ماما... عدت.

- تأخرتِ، ألقت نظرة سريعة على الأكياس: هههههه تعالي أخبريني بما يضايقك.
- لو تعلمين ما تعرضت له اليوم!.
- واضح أنه أمر جلل من حجم مشترياتك.

تمارين المساء فوق دراجتها الرياضية الثابتة سلبتها تركيزها، صبت جله على الوقت المفروض قطعه حتى تكسب رهانها في خسارة خمس عشرة كيلو في أربعة شهور على أقل تقدير، هكذا أخبرتها خبيرة التغذية: لم يكن يجدر بي إفراغ توتري وضيقي بتناول الحلويات، واللجوء للأكل كوسيلة للنسيان، وخاصة أني من طلبت الطلاق، اللعنة عليه... آثار سوء أخلاقه وشكه غير المبرر أورثني البدانة دون جهد، والآن عليَّ بذل الكثير منه للتخلص من عبارات الاستهزاء المبطن بالشفقة إلى ما آلت إليه حالي كلما رافقت والدتي إلى حفل ما.

أجفلت وكأنه خلق من العدم: منذ متى وأنت هنا؟!.

- منذ ابتسمتِ وعيناك مغمضه، لم ترغب في ترجمة عبارته تلك على أنها اتهام، وماذا لو ابتسمت عندما تخيلت نفسها

في جسد مثير لا زوائد في الورك، أو حتى في منطقة البطن.

- تخيلت نفسي نحيفة، تخيل لو عدت إلى ما كنت عليه في السابق، يا سلام... سأختصر على نفسي الكثير من الهوس بجسد مثالي، لم يلق حماسها وابتسامتها رد فعل مماثل، أجفل قلبها:ما بال الشرر يتطاير من عينيه.
- هل تستخفين بعقلي، قالها صارخا: أين كنتِ اليوم؟.
- توقفت ومسحت العرق المتصبب فوق وجهها:ما بالك تصرخ؟ اسأل بصوت خفيض... سيسمعك الجيران.
- فليسمعني سكان الكرة الأرضية، أنا حر، أتحدث بالنبرة التي تناسبني، ولا تغيري الموضوع... صك على أسنانه: أينَ كنتِ اليوم؟.

نزلت عن الدراجة: في السوق، –أشارت إلى أكوام الأكياس خلف باب الغرفة–، ابتعت بعض الملابس، وقطعة من الذهب سأهديها لنفسي عندما أكسب رهاني.

تحرك بسرعة وأخذ يرمي بمحتويات المشتريات عاليا كمن يفتش عن شيء، رفعه عاليا: قميص نوم ها!! زمجر وصرخ بأعلى صوته: أيتها الفاجرة... لم تورثينا إلا العار منذ طلاقك إلى

هذه اللحظة، كان يجب علي التخلص منكِ في حينها، لم يكذب بحقك... كل كلمة ظننتها منه اتهاما كانت صحيحة.

كاد رأسها ينفجر على الحائط مخلفا بقعا من دمائها، شعرت بالوهن، رفعت يديها تصده، تحاول الدفاع عن نفسها: لماذا يتكرر نفس المشهد؟ هربت منه إلى من ظننته ملجأي، ما الذي اقترفته يا الله لأتحول إلى كيس ملاكمة يتلقى لكمات شكهم؟!.

خصل شعرها في قبضته، اللكمات فوق جسدها المسجى على الأرض، الدم المتدفق من رأسها وفمها.. صراخها مستنجدة جاء بوالدتها من بيت الجيران، حاولت سحبه من كتفيه: اتركيني أقتلها... لن أسمح لها أن تلطخنا بالعار، اتركيني أقول لك.

ارتمت والدتها فوقها تحميها من ضرباته: أختك من لحمك ودمك، ما بالك... هل جننت! أنت الحنون علينا... رجل العائلة منذ وفاة والدك، ماذا تفعل: آآخ.

من بين دموعها والدم المنساب فوق عينيها شاهدت والدتها تتلقى لكمته عنها: أمي... أمي أنا آسف... لم أقصد ضربك، حاول مساعدتها على الوقوف فدفعته بعيدا.

- من أنت، لستَ من ربيت، ماذا دهاك وما الذي اقترفته هذه المسكينة حتى تضربها بوحشية؟!.

جلس منهكا... وخيبة في زاوية الغرفة يبكي: كانت تقف هناك في شارع بنات الليل، تتحدث مع سائق سيارة تساومه على أجرتها، رأيتها بأم عيني،كذَّبت على رفيقي عندما سألني: أهذه أختك؟ أخبرته أنها في المنزل، ومن الممكن أن تكون تلك الغانية -نظر بقرف إليها- شبيهتها.

حاولت أن لا أصدق، حاولت أن أبعد الظنون الشيطانية، ولكن وقف فجأة وأمسك قميص النوم بين يديه: انظري... هل ترينه، لمن ابتاعته، هل سترتديه هنا في البيت؟!.

نظرت والدتها ناحيتها مستفهمة، أسندت ظهرها لقدم سريرها: هذا هدية لصديقتي التي تزوجت البارحة.

- تزوجت البارحة وستهدينها إياه متى؟ اليوم... أم أنكِ سترافقينهما في شهر العسل؟!.

تقدم كثور في حلبة استفزه تلويح المصارع بقطعة القماش

أمام عينيه، فتصدت له والدته: استهد بالرحمن، أنت تعرف أنها لا تكذب.

- هذا ما ساعدها على بيع جسدها مقابل بعض القصاصات وقطع الذهب، صاح متهكما: لا تكذب، آآآه لا تفعل، والدليل تواجدها في شارع الدعارة بنفس الوقت الذي ساومها ذاك السافل على جسدها.
- حاولت والدتها ضبط أعصابها بعد أن تعالت الطرقات على باب منزلهم: تسببت بفضيحة لا أساس لها إلا ظن السوء في نفسك، ماذا سأبرر للجيران الآن، نظرت ناحيتها: يا صغيرتي المسكينة.

ألقى عليها نظرة لا معنى لها، جامدة كجلمود صخر، خالية من الشفقة، غائبة خلف سواد أفكار، ابتلعته كما فعل باب غرفتها عندما أغلقه خلفه بعنف.

ليلة هادئة في المخفر بعد يوم حافل ومتعب، لا بلاغات مسائية حتى هذه الساعة، كان يجلس خلف مكتبه متثائبا يقلب قنوات التلفاز أمامه، رنين الهاتف استفزه: أرجو أن يكون بلاغا

تافها.

- صياح هستيري من صوت سيدة صمَّ آذانه رفعه كاملا عن مقعدة، اقشعر بدنه: اهدأي سيدتي... لا أفهمك، ما الذي حدث؟!.

نشيج طويل... بكاء مستمر... قالت بضعف:

- قتلها... لا أعلم منذ متى يخفي المسدس، أفرغ المسدس كاملا في جسدها، ابنتي ماتت... يا إلهي قتل رفيقتي.

ولادة

شراشف بيضاء، وأسرة زرقاء بأعمدة حديدية، الفراش ملطخ ببقع متفرقة من الدماء، السقف المعلق عبارة عن مربعات مخرمة، لو حاولت أن تُطلق من خلاله صوتها لسقط على من يحميه.

تتابع الوخز في أسفل ظهرها كعامود من الفولاذ رأسه دقيق يهاجم وسطها بقسوة، يقف قبالتها ضاحكا مستهزئا بالعرق المتصبب من جميع أنحاء جسدها، والألم الذي يعتصر لسانها ويبقيه داخل فمها: ما نفع الصراخ بعد أن يفقد القلب صوته؟!.

شق باغت باطنها تسبب بدفع الماء خارجا حتى ملأ السرير وما حوله، نظرة الرعب فوق وجهها استدعت انتباه ممرضة قريبة منها: "نيرس منى، مية الراس نزلت... عنا حالة جاهزة للولادة".

توافدت الممرضات إليها ونقلنها إلى سرير عال، تحيط بجوانبه العديد من القطع صغيرة الحجم، طويلة المسافة، موزعة

بترتيب ينم عن أن عملية مخيفه ستتم فوقه، لم تقو على الاعتراض، ذلك أن الألم أسفل ظهرها تسبب بشلل رجليها، كأن سهما من النار أذاب قدرتها على المشي، حتى خارت قواها، شجعتها الممرضة بعد أن أمسكتها من إبطها: هيا... قليلا من الجهد، وقليلا من الوقت وسترزقين بطفل جميل ينسيكِ هذا الألم.

- قومي بعملك فقط... قالتها بعنف أزعج الممرضة.

تمددت فوق سرير الولادة: ألا يمكنكم إعطائي أية إبرة للتخدير، أشعر بثقل يسحق عظامي... قالتها بشفة مزمومة.

بدأ الوخز يأكل كل جزء منها، شعرت بعروقها تنفجر تحت جلدها، مع التوسع المميت الذي يكتسح الجزء السفلي منها، بدأت الغرفة تضيق.

فكرت طوال فترة حملها بالتخلص من الجنين، لم تترك وسيلة للإجهاض إلا واستخدمتها، ولكن الجنين متمسك بالحياة أكثر مما تفعل، بعد أن قطعت شوطا طويلا في الحمل، قررت أن تسلم الطفل لوالده فور ولادته.

صرخة خافتة تشبه مواء قط في يوم ماطر يبحث عن مأوى، أخذت تبتعد وتبتعد حتى غابت عن الوعي بتأثير الإبرة التي أمرت الطبيبة بصرفها لها.

بدأت بفتح عينيها رويدا رويدا، أين أنا؟! تساءلت.

ممر طويل مطلي باللون الأبيض، والكثير من النساء الحوامل يملأن المكان.

تلمست بطنها، كان جل همها أن تتخلص من البطن الكبير الذي اضطرت لتحمله طوال تسع شهور... تذكرت أمها عندما قالت لها: عندما ترزقين بالطفل ستنسين معاناتك هذه.

- لا أريده... همهمت. لا أستطيع تحمله، أحتاج إلى وقتي كاملا دون أي شخص يقتص ولو قليلا منه.
- حاول زوجها التسرية عنها: الظاهر أنكِ تعانين اكتئاب الحمل، معذورة.
- لا أعاني إلا من كائن غير مرغوب به يسكن أحشائي بسببك، اتفقنا أن نؤجل الحمل لبضع سنين، وبأنانيتك سيأتي من يقيد حريتي، ويمنعني من عيش حياتي كما أشاء.

- كفى هذيانا... صاحت أمها مؤنبة، شعور الأمومة سيمنحك أجنحة تأخذكِ إلى عوالم لم تتخيلي يوما أنكِ ستصلينها.
- أكيد... ضحكت بهستيريا، سيريني النجوم في عز الظهر.

أسندت ظهرها قليلا حتى أطلت برأسها على غرفة مليئة بأسرة زجاجية شفافة، يحتضن كل سرير مولودا صغيرا بشعا، صاحت منادية: أين النيرس؟ أريد الخروج من هنا.

أصوات صراخ الأمهات أثناء الولادة، وأصوات بكاء المواليد حديثي الولادة أفقدتها قدرتها على السيطرة على أعصابها: نيرس.. نيرررس... قسم الولادة شبيه بخلية النحل، لم يعرنها أي انتباه.

استجمعت قواها، حملت قدميها وثبتتها فوق الأرض، أمسكت ببطنها بيد، واستندت بيدها الأخرى على الحائط، تقدمت بصعوبة نحو باب الخروج، أمسكتها الطبيبة من كتفها برفق وحنو: إلى أين؟ هناك طفلة بانتظارك، تعالي لتحمليها بين ذراعيك.

- دفعتها بعيدا: خذيها، احمليها أنت إن كانت تعجبك... لا أريدها.

امتقع وجه الطبيبة حتى لم يعد يعكس لونا واحدا، محاولتها في ضبط أعصابها بدت واضحة لا يمكن إنكارها: ولكنها ابنتك... أنتِ أم، ألا تدركين نعمة أن تكوني أما.

- نظرت إليها والألم يمزق أحشاءها: ألا تدركين يا عزيزتي أن الأمومة ليست حلما لجميع النساء.

ضايقتها الطبيبة بإلحاحها للعودة ومشاهدة الطفلة، وأن رأيها سيتغير بعد حملها بين ذراعيها، صرخت في وجهها مزمجرة: ألا تبصر عيناك؟! ألم يدرك عقلك أن هذه الطفلة قد ولدت يتيمة الأم؟!.

أهنّئُكَ

لم يكن فقط رفضك -غير المعلن لي- بعد علاقة سنوات طوال... هو المحرك الوحيد للقهر الذي انفجر بوجهك على شكل كلمات سامة، تسببت بوجعي قبل وجعك.

فأنا... وبكل مشاعر الحب تجاهك، لم أستوعب كَمَّ الخذلان المنصب فوق رأسي، كأنه زخات مطر من نار أذابت مشاعري، واستبدلتها بمكعبات كبيرة من الثلج، لأستحيل بلمح البصر إلى بلهاء.

تشجيعك إياي مرارا وتكرارا على الإيمان المطلق بك، باعتبارك سندا لي حين تخلى عني الجميع، جعلني أمضي في حبك معصوبة العينين، إلا عن وجهك الذي قادني نحو مصرعي بكامل إرادتي.

هذا ما فعلته بي.. تخيل!.

أتعلم، أفكر مليا بنا... أو بي، ما دمتَ اخترتَ الفراق حتى

وإن لم تنطق به، فرغم استبصاري بنهاية علاقتنا منذ بدايتها، إلا أنني تشبثت بك، نظمت ملايين القصص حولنا، ورأيتني معك في كل خطواتك، في كل لحظة أَلَمٍ مررتَ أنت بها.. أصابتني بغصة، كل إخفاقة عشتها أنت.. ألزمتني التفكير بالطريقة التي تمكنك من اجتيازها، أرأيت إلى أي مدى قادني خيالي.. وأنت!.

ويحك، صرنا اثنين، بكامل مرارة الأنثى سلختك من روحي كي أُبعَثَ من جديد، لكني مت ألف مرة دون أن تعلم.

بكيتك جمرا...

أحرقتني وذروت رمادي في مهب النسيان...وبعد أن كنتَ قلبي صرتَ الطعنة التي قتلته.

لعنتُ الساعة التي جمعتنا في لقائنا الأول، بعد أن كنتُ أردد كلما تذكرتها "شكرا على وجودك في حياتي".

لا ألومك... أنت الذي وجدتَ في إخلاصي لك وسيلة لتعذيبي، وبذات السوط الذي أهديتُك إياه في يوم ميلادك لعشقك الفروسية، فجلدتَ به صبري على جفائك ألف مرة،

لسعتَ استيعابي بثقيل كلماتك ملايين المرات، مارست طغيانك بكل إتقان، وكلما ابتعدتُ عنكَ عدتُ وكأني أرجو منك عذابا جديدا.

فأنا معك أفقد الوعي والإدراك...

أتذكر عندما أرسلت لك: "إن الذي زرع حبَّكَ في قلبها قادر على أن ينزعه"!.

اعتقدت أني سأستثير التملك فيك، فتدفعك للحرب في سبيلي -هلوسات مراهقة في الثلاثين-، لكنك بكامل استخفافك أرسلت رسالة مرفقا بها وجها ضاحكا: "لن تستطيعي التوقف عن حبي، حتى لو انتزعتِ قلبك من صدرك، فسأبقى أسكنه".

لم أقاومك... كما وأنني لم أعترض، بل ابتسمت مغتبطة لثقتك بي، هكذا هيأت لي الطفلة في داخلي، أرسلت لك يومها: "أحبك". لم أنتظر ردا... كان جُلُّ همي أن تعلم مقدار تضحيتي.. فتقدرني.

أخطأتُ نعم... بشرية أنا، كنتَ أنت خطيئتي التي لم أرتكبها،

وودتُ لو فعلتُ، ظننتُ أن كلمة (لا) الأولى كرد مني على حبك، لم تسجل في قلبك الرغبة بالانتقام، ولكنك بكامل استمتاع فعلتَ.

أحببتُك من أعماق قلبي... وبأنانيتِكَ وقسوتِكَ مررتَ من فوقه كأنك لا تراه.

افتقدتُك كثيرا، وكثيرا تعني أنني كنت أموت ألف مرة، ويعيدني إلى الحياة حلم يضمنا، درتُ في دائرة غيابك، وعدتُ لنقطة رسوخك في قلبي وكياني، وبأنك حقيقة لا يمكن إنكارها.

أتعلم... آثرتُ الابتعاد غصبا، علَّنِي أحتفظ بصورة تجميلية عما ظننته حبا منك، وتجاوزتُك بكل قسوة الهجر... وألَمِ البعد.

ولكني أهنئك... ليس لأنك نجحت بكسري وتحويلي إلى جسد دون روح، لكن لأنك أثبت أن للحب تاريخ انتهاء صلاحية أيضا.

رجل الوحدة

لم تكن الوحدة يوما ما مشكلة أعاني منها، بل كانت مطلبا أسعى إليه، فقد عشت حياتي بالكامل على هذا النهج، تجنبت الكثير من الأشخاص الودودين الذين كانوا يسببون لي وسواسا، ويحثونني بإكراه كي أكون اجتماعيا مثلهم، كنت أردُّ السلام عليهم أحيانا، وأبادلهم حديثا مقتضبا في بعض المرات، وأحيانا أخرى أتجاهلهم، فيشعرون وكأنني لا أعرفهم من قبل، ولست بنادم، إنما ندمت على معرفتي -فيما بعد- أغلب من حاول جعلي صديقا له.

بليد أنا، هذا ما أسمعه منهم، وكنت أسمع منذ زمن بعيد أنني كسول، لا أنفع لأبسط الأشياء! لا يهمُّني ما يقولون، كما لم يكن يهمني من قبل، أتخذ مكاني كي أكسب هدوء نفسي، وأرتاح من القيل والقال، عادة ما أشقُّ ضوضاء التَّجمعات بتجاهلي لها، ألغي صندوق الوارد من حساب "الفيس بوك" الخاص بي، مع أنني جربت مرة أن أَفَعِّلَهُ وليتني لم أفعل، هنالك أقارب نسيت

وجودهم، نساء استنفدن طاقتهن وهن يستجدين لفت انتباهي لكسب ودِّي ولم يفلحن، أناس يرغبون بالتزاور التقيتهم بمناسبة عارضة، وافترضوا أنني وافقت على صداقتهم، مساكين هم، ولصوص "أون لاين" كانوا أصدق من أرسل.

رجل الوحدة أنا، في منتصف الخمسين من عمري، أجيل نظري في البيت الصغير الذي اخترته بعناية حتى لا أُشجع أحدا على زيارتي، لأول مرة أرى منزلي رتيبا، جامدا، لا روح فيه، كأن شيئا ما ينقصه، فجأة... صاحت إحداهن بوجهي دون أن أبدي اكتراثا لسخطها وإحباطها: اللعنة عليك، أتمنى أن تموت وحيدا.

وحيدا... استرعت الكلمة كامل تحليلي لواقعي الذي اخترته عن طيب خاطر-ولم أندم للآن-، فثار بداخلي شعور الألفة لأذن تصغي إليَّ إن تحدثت، بدلا من هرتي الكسولة التي لا أجد منها إلا صوت المواء حين تجوع، وأدركت حاجتي لشخص ما يسألني أين أذهب ومتى أعود! وأحسست برغبتي لشخص يصنع لي من الطعام ما أحب وما أطلب، ثم استيقظت بداخلي الرغبة لشخص يزيح عن حياتي وحشتها، ويؤتيها أنسها، شخص على هيئة زوجة.

هل تخيَّلت؟!

شذرات الضوء الصغيرة المتسربة إلى أعماق روحي بدءا من نوافذ عينيَّ، تحاول بوضوحها الشفاف إشعال فتيل الحركة داخلي، حاولت مد يدي عبرها علي ألمسها، وأجذبها في عناق طويل أقتبس من خلاله الضياء.

غائصة بين وسائدي الوردية، وأغطيتي المزركشة، لا تظهر مني إلا أصابعي المنهكة، تروح وتجيء بين نترات الأشعة الملونة بأطياف قوس قزح، أحاول لمسها، أحاول جمعها في سلال كفي لأوزعها بتؤدة على بقية جسدي المسجى، أحاول تجفيف حبات العرق المنصبة منه فوق ملاءات السرير، أجتهد لأبقيني على قيد الصحوة، واعية للفراغ حولي، للوحدة الإجبارية التي فرضت علي، لمعاملتي قسرا كوباء يجب تجنبه لبقائهم سالمين... هكذا بكل بساطة ودون أية مقدمات، شخِّصتُ مصابةً بفايروس كورونا.

سأموت، نعم سأموت... فكرت بصوت عالٍ أقرب

للصراخ، شعرت بروحي تقف بمواجهتي تحمل ما تسنى لها من بقايا حياتي في حقيبة تحملها بخفة وتهم بالمغادرة.

إلى أين؟ ولماذا؟ ليس بسؤال منطقي، وليس بمحله، ولا هذا وقته، ولكنك تفقد استشعارك، حواسك، تفقد ذاتك عندما تصطدم بحقيقة أن الموت يقف بمواجهتك دون أن تعي أو تدرك، لا يفصلك عنه إلا سدٌّ بصريٌّ بأمر الله ولطفه.

لا أتذكر كيف حدث وأصبت بالفايروس، فمهنتي كممرضة مع إجراءات السلامة التي نتخذها لا تتيح للهواء التَّسرُّب إلى رئتينا بسهولة، ولو كنت أعلم أنني سألتقطه أثناء تسوُّقي لما اتخذت أية تدابير وقائية خلال خدمتي، وخاصة أن الاختناق وثقل لباس الوقاية كانا سيِّدَيَ الموقف.

في روتين يومك، في تأدية أعضاء جسدك لمهنتها بكل سهولة دون جهد، واستجابة لأوامرك العقلية لها، لا يمكنك تخيُّل أو توقُّع تخلِّي جسدك عنك دون مقدمات، أن تفقد سيطرتك عليه، أن تشعر بعجزك وضعفك، شعور بالقهر لا يمكنني وصفه بالكلمات.

هذا الفايروس يشعل حطب حواسي العصبية داخل جمجمتي، أشعر بها تنصهر فعليا، أمسك رأسي وأضمه بما تبقى لي من قوة بين كفي، آخذ وضعية السجود في أغلب الأوقات، وأحيانا أظل يوما كاملا علي أسيطر على تصاعد الحرارة المخيف داخلي، ولعلي أوقف ذوبان عظامي، أو أستطيع منع مسامِّي من طرح كميات العرق المخيفة التي تغمرني شلالا لا يتوقف، أو منع تيار الكهرباء من السريان داخل جسدي يلسع كل مكان يمر به.

شهر كامل من فقدان السوائل فقدت خلاله الكثير من وزني، فايروس غير مرئيٍّ جعل مني جسدا هزيلا واهنا افتقر للكثير من المعادن، لا حديد، لا فيتامينات، كل ما تفكر به أنه يمدك بالمناعة، ويساعدك على الوقوف على قدميك من جديد.

لا فرق بين ليل ونهار عندما تتمدد فوق أوجاعك، إذا ما انقلبت على جانبك الأيمن لتريح الأيسر صعقك وجع لا يمكنك تحمله، تعود إلى وضعيتك منقلبا على ظهرك فيشتعل فيه فتيل الآلام، لا يمكنك أن تسيطر على الهراوات التي تسحق عظامك داخل جلدك، هل لك أن تتخيل شقًّا يعصف بكل جزء من

جسدك... كأنما يشرخك دون مخدِّر؟! كممرضة كنت أتقبل شكايات المرضى، وأحاول مواساتهم ومساعدتهم من خلال المهدئات، ولكنني لم أكن لأتخيل أنهم يموتون كل لحظة دون أن يمتلكوا التعبير المناسب عن أحوالهم.

أشرب الكثير من الكمُّون، الكثير من الليمون، أية وصفة طبية بديلة عسى أن توقفه وتمنع آلامه التي تفتك ببقايا صبري، أعيش على ما صرف لي من المُسَكِّنات.

أبصرهم من خلف زجاج باب معزلي، أجسادا تروح وتجيء بلباس أزرق كأنهم ملائكة تقوم بحراستي، هل فكرت يوما أنه من الممكن أن تراقب أكثر مخاوفك رعبا دون قدرة منك على منعها، ألم يتشبث بك، يقوم بعجنك مرارا وتكرارا، ومن ثم يكوِّرك ويقذف بك في ممرٍّ أملس طويل تجاه بقية ما كنت تظنها في وقت سابق مشاكل لا يمكن حلها؟ لتسقط دفعة واحدة، ويبقى الفايروس منتصبا أمامك؟ هل تخيلت؟!.

شوزفرنيا المشاعر

لكِ، لكل شيء حولك قدسية، هالة تحيط بهيبتك، نسائم ترفع كبرياءك، تحجبك، تنقلك إلى فضاءات نفسك، تغرقك، تقصيك، تفقدك الشعور ليس فقط بالجاذبية، بل بمشاعرك أيضا.

- ألم تستيقظي بعد؟!.
- مضحك أنا ولم قد تفعل!!.

إصراري على ترسيخها وإشهار قسوتها عليَّ في كتاباتي يثير اشمئزازي وضحكي على نفسي، أنصت لصوت حبات الماء المتساقطة من الصنبور في قاع مليء ببقايا ماء وفناجين قهوة فارغة.

- تجاهل إحباطه: أعلم أن العبارات، أو بمعنى أدق مناجاتي لها بعمقها إلا أنها مؤلمة، ليس لي فقط بل لها أيضا.. يقيني أن الفقد لا يشعر بالحنين.. ولا يدغدغ الألم مكامن الشوق في قلبها!!.

استطرد وكأن هناك ما استفزه: قطرات الماء هذه مناورة ماهرة، تلتقي بامتزاج تختار مكان سقوطها ثم تأخذ طريقها بعيدا عن الأخرى وكأنه اتفاق خفي على اللقاء والفراق سويا.

توقف عن الحركة ووضع إصبع الشاهد على رأسه، وكأنه توصل إلى سبب وضعه المشتت: ما زلت أتأمل عودتها، غبي أنا.

حتى وإن فعلت وستفعل فسأعذبها إلى أن أستجيب مرة أخرى لمشاعرها، يجب أن تشعر بحجم احتياجها لي، وإلى أنني حب حياتها، أنها لن تستطيع أن تضحك بدوني، أو أن تتألم دون أن تشعر بحجم الفراغ الذي يتوسع في قلبها دون يدي تلملمه وتحمله بعيدا وكأنه لم يكن.

أتوق إلى رؤيتها تتحدث مع نفسها، أن أراقبها تفقد صوابها عندما أصدها، أن تجن، كم أتمنى لو تموت.

- كيف ستموت وهي ميتة أساسا منذ سولت لها نفسها بأن تهجرني وتتخلَّى عني!.

دمعت عيناه وأخرج ورقة بالية من جيبه، كان واضحا أنها قرئت وطويت أكثر من مرة: لا تستحق مشاعري، هي في الأساس لم تكن لتحلم أن أتحدث إليها... فكيف بي أحبها!! من الممكن أنها لم تستطع استيعاب مقدار السعادة الذي زرعته في حياتها، لهذا رفضت قبول رسالتي هذه إليها.

فاجأني الشعور بالغصة التي حفرت عميقا في داخلي، وقتلت حتى الشعور بالألم عندما تعدت وجودي أمامها وكأنني غير موجود!!، لم أصدق حواسي... اعتقدت حينها أنني فقدت بصري، وأن من تعداني ليست هي بل شخص يشبهها!.

أخبريني بأنك على قيد الحياة، وسأكفر بالوقت المنقضي دون وجودك.

لو أنني أعلم أين غرست بذرة الشوق في جسدي، لقمت بتمزيقه إلى أن أجتثها وأقدمها هدية لعابر طريق يمر مسرعا ليلحق بقافلة لن تمر.

ويحك من أين أتيت؟ أبحث في وجوههم عن من يشبهك، ولكنك كمن خلقت فريدة منفردة لا شبيه لك إلا طيفك، الذي

كلما مر من ذاكرتي حاولت القبض عليه وتقييده بجذعِ ظل مهشم...ممزق لتحرري نفسك منه وتعودين إلي.

وفي المقابل... أعلم علم اليقين أنهم كلهم أنت، وأنك لن تعودي، وستهربين إلى أي مكان لا يقودك إلي!.

ليتك تطلبين من الصنم الجاثم فوق مشاعرك أن ينتزعني من بين ضلوعك، ويرميني إلى مكان أستطيع أن أستنشق الهواء فيه.

- أرجوك لا تدعيني أموت وأنا حي أرزق.

سيطر البؤس عليه، لم يقو على مواجهة ضعفه وقلة حيلته المنعكسة في المرآة، أنهى الحوار، نظر بعيدا وقلبها، ثم توجه وأخذ مجلسه في زاوية الغرفة.

تجاوزك.. ليس صعبا

لم أبذل جهدا لنسيانك، كانت أبسط خطوة تتخذها ذاكرتي لتقذف بالعالق منك خلف شعورك بضمان بقائي.

تحتاج إلى وقت!!

لن آخذ رجاءك بجدية، ذاك لأنني دون طلب منك التمست لك بدل العذر عشرة، غلَّفتَ إهمالك بالانشغال، وغيابك بالإرهاق والتعب.

حاولت أن أبرر دائرة الضوء الأخضر الملاصقة لاسمك في برنامج المحادثات بحتمية وجود خلل إلكتروني، بعد أن كنتَ ترد فور وصول رسالتي أصبحتُ أنتظر لساعات، إجابتك حفظتها عن ظهر قلب كلما حاولت عتابك، فعدم اكتراثك بهاتفك بعد أوقات العمل ما هو إلا ردُّ فعل طبيعي على المسؤوليات الملقاة فوق عاتقك، وأنه بسبب مزاجيتك المتقلبة

ولا رغبة عندك باستخدام برامج المحادثات.

ولستُ ممن يشغل نفسه عن شؤونه بمتابعة شؤون غيره، لكنني وجدتُ نفسي أتقصَّدُ مراقبتَكَ، ليس حبًّا، وإنما شكٌّ.

انقلب حالي بفعل إهمالك، فمن فتاة هادئة الأعصاب، راجحة العقل، تحولتُ إلى مفتش بوليس يدقق على ماهية معنى تصرفاتك وردودك، فمنحت لـ(مشغول) تفويضا بالمسامحة، و(تعبان) عذرا في غيابك ليومين وأكثر.

وللأسف... فقد استهلكتُ طاقتي، واستثرتُ بنفسي غضبي، وصببتُ الأدرينالين في أعصابي، فأبقيتَها مشدودة في وقت كان عليَّ أن أعيش أجمل لحظات الحب في حياتي معك، لكني بكل بؤس المحبين لم أفعل.

وجدتُ في خروجك الدائم مع أهلك، أو برفقة صحبك فرصة لترفِّهَ بها عن نفسك، حاولتُ منع نفسي من تكرار الاتصال بك، خوفا من اتهامك لي بالتعلق المرضي، كنتُ أحاول الوصول إلى ترسيخ قناعتي بأنني أتقدم أولوياتك، فأبحث عن أي تصرف يصدر عنك ليطمئن قلبي، التبريرات غير المنطقية تجاه علاقتنا،

ورغبة الاحتفاظ بك أعمتني عن حقيقة أنني لستُ سوى صفر زائد على شمال هامش حياتك.

بدأت أصاب بالجنون، عندما لاحظتُ متأخرة اتخاذي وضعية الهجوم على كل كلمة تخص تنبيهي أن لا وجود لي في قلبك، جافاني النوم، وبدل أن تريح الوسادة رأسي، تحولت إلى إسفنجة تمتص الوساوس والدموع، فترجمتَها أحلاما تنبع من أعماقي السحيقة لتهبني الأمل، وتعزِّزَ فرصةَ زواجنا، أترى إلى أين وصلتُ؟! لا تبرير لهلوساتي ما دمتَ لم تمنح مشاعري أجنحة للطيران، قصصتَ كل ريشي، وسرقت كل أحلامي.

لن أسامحك على شعور نقص نما بداخلي، وكَبُرَ بسبب تشكيكك المستمر بأنني واهمة، وأن حبك لي لا يمكن تفسيره أو حتى إثباته، وبحمق الحب صدقتُك.

ولكن ما ذنب مُحبة سحبها تيار مشاعرك في البداية، وأعماها عن حقيقة كونك اعتبرت سحر علاقتك بها مستمرا رغم تجاهلك لها، وبأن العلاقة مضمونة لاعتقادك بتمسكها بك، وأنها لا تستحق أدنى جهد منك للاحتفاظ بها؟!.

كبرياء

هي من تلك النساء اللواتي يغطين خيبتهن بعشوائية طفلة، فتجدها تضحك دون سبب..وتتحدث في أي موضوع دون معنى.. تتزلج فوق (سيراميك) أية أرضية تصادفها، حتى وإن كانت في قسم طوارئ مستشفى.

تستذكر من أرسل لها رسالة هاتفية، أو عبر الواتس أب قبل أسابيع.. فتجيبها بعد أن قررت حينها أن مرسلها مزعج لا يستحق انتباهها.. ثم تحشو يومها بالمناسبات الاجتماعية، فتعود فلانة بعد أن تعافت من مرض قبل أربعة أشهر، وتقدم التهاني لزوجين مر على حفل زواجهما نصف عام.

ترافق للسوق من تحججت لها بألف حجة من قبل بأن وقتها مشغول لآخره، ولا ثانية واحدة حرة تستغلها في رؤيتها ،لتتخلص من ثقل دمها..

هي من تلك النساء اللواتي أيقنَّ.. أن النوم مبكر حل للهروب من حب لم تكتب له الولادة..تضع رأسها ليلا فوق وسادتها، فتصطف خيباتها نحو رأسها كسرية نمل منظمة الخطى تدخل واحدة وتخرج أخرى.. تبعثر أفكارها، تدق وتدق بأقدامها همومها وانكساراتها إلى أن يطلع الفجر فتغرقها بالدموع، تشهق بوجعها فيقف في حلق الصباح.

لكنها تلك الأنثى التي تغادر فراشها البارد..تبتسم لعينيها المتورمتين ووجهها المحتقن..تبدل ملابسها وتمحو أثر الليل من فوق وجهها، تستبدل رائحة همومها العفنة بعطر الياسمين.. تزين سرير دموعها بمساكارا وتغطيها بالكحل.. تتمرد على ضعفها بسهم "آي لاينر" مرفوع الرأس، تمد لسانها لنفسها وتغادر لعملها...

غسيل

ضعيه في البداية بالضبط، والآن اقلبيه رأسا على عقب، نعم ثبتي الأرجل فوق، ودعي الخصر يتدلى، لا تتركيه... اشبكيه بالملاقط، تماما على كل طرف واحد فقط.

لا... انتظري، لا تنشري إلى جانبه بنطالا آخر، القميص هنا يؤدي الغرض، اقلبيه أيضا وعلقيه من أطرافه، ارمي الأكتاف إلى أسفل، كل القطع بالمقلوب، أبدا... لا غرابة في تعليقها رأسا على عقب، فهذا هو المطلوب.

لا... لا، تقارب الألوان ليس بالمهم، ولا بالمفيد، فكلما كان المزج بينها غريبا كلما استثرتِ حفيظة الاستهجان.

الألوان المتناسقة المتشابهة لا تترك أثر الانشغال الفكري، أحمر وأخضر ثم أزرق، يتخلله الأسود وقليل من البني، شيء يشبه السلطة، مضحك بهيئة غريبة تثير التساؤلات، وتدفع بها إلى

السطح.

هذا كافٍ اليوم، احرصي على أن تكون الوجبة القادمة دسمة تشغل الحي بأقاويل وحكايات لا تنتهي.

نشر الغسيل يا عزيزتي لا يحتاج إلى جهد وقوة، بل يحتاج إلى حبل طويل، ووقت ومكان مناسبين.

نص مجنون

أنوي الرحيل إلى أي مكان بعيد عن هنا، وهي نية مؤجلة كباقي النوايا، كـ"نيَّتي" في اقتلاع هذه الحروف وزجها في فوهة، ومن ثم إطلاقها باتجاه أية مساحة شاسعة.

أرغب أيضا في دفع الكرة الأرضية بضع سنتيمترات ناحية الشمس، لعلي أستزيد من دفئها، أو -ربما أشطح في فكري من وجهة نظركم-، لكن في داخلي رغبة عميقة بالتزلج على طوق الجليد المحيط بزحل الكثير من الدورات حتى أفقد توازني.

نوايا ورغبات مستحيلة، ولكن لنفكر منطقيا... ألم يوهمونا أن نيل آرمسترونغ وطئ أرض القمر، والحقيقة أن ما شاهدناه لم يكن إلا فيلما صور في أحد أستوديوهات صحراء نيفادا، وقبل أن يصرخ في وجهي أحدكم مفندا نظرية المؤامرة المتعلقة بهذا السياق بالذات.

أخبركم بأني لست من قام بدراسات، وقدم براهين دحضت

قيام آرمسترونغ بالتجربة من أساسها، وبعيدا عن ماهية الأمر، لا لم اخدع، وإن كان-ومع تندر الفرنسيين ببقائه-، ما زال العلَمُ الذي غُرس في تراب القمر ثابتا في أرض لا جاذبية فيها،ومرفرفا رغم عدم توفر الهواء على السطح، أتساءل: هل ما أشاهده في منتصف الشهر باكتمال وجه القمر، دمعة تحررت من عيني الشيخ الحزين المتمثل في التضاريس الناتئة! أم أنه علم مل الوحدة ويرجو النزول!.

وأصرخ بعالي الصوت لأسمعه: ما ذنبي أنا إن كنت لا أملك أية سلطة حتى عليَّ! صدقني يا رفيقي أنت وحيد في السماء، وأنا وحيد هنا في هذا النص رغم كم الأحداث الصاخبة من حولي.

هيه أنتم..هلا يدلني أحدكم على باب يقودني خارج هذا النص المجنون؟!.

غفلة

أفلت من بين يديه...

- انتظر قليلا... تمهل... لما العجلة!.

لحق به بأقصى سرعته، سلك الزقاق الضيق المفضي إلى ساحة واسعة، لمحه يسلك ممرا آخر، توقف لاهثا: سألحق بك، مهما ابتعدت خطواتك لن يحبط هذا مسعاي.

حاول إيجاده، فتش خلف أبواب البيوت، وفوق النوافذ، والأسوار: لعله تعب ويرغب بأخذ قسط من الراحة، تساءل!.

سلك طريقا طويلا فتعثر بظل عجوز يستريح على مقعد فوق الرصيف: هل مر من هنا، ألم تشاهده!.

- نظر إليه العجوز من فوق أنفه، وقال متهكما: بلى.
- لماذا لم توقفه لأجلي؟.

- ضحك ملء شدقيه: لن تفلح باللحاق به، لقد بذلت سنواتي جميعها كي أبطئه قليلا، رفع يده محركا أصابعه بتموج: لكن محاولاتي راحت أدراج الرياح.
- أتحاول إحباطي يا هذا؟.
- ولما أفعل! إرهاقك وتعبك كفيلان بذلك.
- تركه وأكمل جريه، لم يترك طريقا إلا سلكه، ولا جسرا إلا وعبره، لم يترك أرضا وعرة إلا وقضى فيها سنوات في البحث عنه.

منحني الظهر، شائب الشعر، منهك القوى، صاح: الويل لك، عمركالزئبق، تظن أنك تمسك به فيتسرب رغما عنك من بين أصابعك.

ملامح

حدث وشاهدت في كل الوجوه نفس الملامح، كأنما خضعت جميعها لعملية تجميل وحَّدتها!.

هل حدث وأن لمحت وجهه في (مول) على سلم متحرك صاعدا للطابق الثاني وأنت في الطابق الأول، مما دفعك للركض خلفه، وبعد أن أدركته نظر مباشرة إليك بتوجس أجفلك!.

هل حدث وشاهدت نفس الوجه يلقي النشرات الإخبارية، وأسفل الشاشة شريط عاجل يحمل خبرا مفاده: اندلاع حريق هائل في قلبك أتى على كافة حواسك، وخدر قاتل في أطرافك حصيلة خسائرك!.

ألم يحدث وأن جلست تعبا على باب انتظارك له، بكيت وبكيت من تكرار انعكاس وجهه في وجوه العابرين، ووحده وجهه لا يمر بك؟!هل حدث...؟.

عاشقة الأماكن

البداية في أية علاقة جديدة صعبة بعض الشيء، ومربكة أيضا، خاصة ذلك الجزء المتعلق بالإفصاح عن المشاعر التي نحرص كل الحرص على إخفائها خوفا من الصد والرفض.

نلمِّح أحيانا بعبارات غزل في طيات حديث رسمي، أو نظرة نسرقها من محياهم، وفور انتباههم لنا كأنما لا نراهم.

حركات مراهقين كما يسميها البعض، وهذا ما يفعله العشق بنا،يعيدنا إلى داخلنا حيث نسينا الطفل المشاكس المحب للحياة.. ولهم.

دون تفسير منطقي أجدني أسيرة الشوارع... الأشجار والمقاهي، غارقة في حب بحيرة غمرت روحي بمياهها حتى طهرتها.

أعبر الجسور حيث يمكن لقدمي العاريتين القفز فوق التراب، تزف خطواتي جموع العصافير لتخلد المشهد في ذاكرتي.

مسحورة بالجبال، والأودية، لا أجد حرج عاشقة في الإفصاح عن مدى إعجابي بما يحيط بي من جمال.

لا أمانع لو ضعت لساعات، لأيام، لشهور... دام قلبي وجد ضالته والتقى بنصفه الآخر، لا ضير لو بقيت الدهر هائمة في تفاصيل مكان وقعت في حبه.

عاشقة الأماكن أنا، أرحل مرغمة وأترك جزءا من قلبي معلقا في تفاصيلها.

مكاتك

تناولتَ علبة سجائرك، وتركت لي حقيبة مزركشة في قلبها هدية، أخبرتني فور وصولك أنها تناسب شموخي.

الخدر الذي بدأ يتسلق قدميّ ذكرني بأنني مغروسة دون حراك منذ نصف صدمة، نصف خذلان، وكامل انكسار.

لا أعرف أية قوة امتلكتها ساعدتني في تحرير يباس جسدي دون كسر يصيبه فور انهياره فوق إحباطي، وعلى أكوام ألمي.

وكنت قد سألت نفسي مرارا وتكرارا: كيف حدث واجتحتني ببطء، حتى فاجأت استيعابي بمكانة عالية، ما كنت أظن لوهلة أن يصل أي رجل على سطح هذه البسيطة إلى عُشرها؟.

وما علمت أني أحببتك إلا عندما وخزني قلبي بغيابك، تهت، حزنت وأنا ما عرفت الحزن يوما! تكومت الحياة لتسد مجرى

نفس، وبين ضلوع تدفق فيها الهواء بكرم فور لقاء رتبه القدر لنا فجأة، لتباغتني بأنك ما اعتبرتني يوما غير صديقة!.

بكامل غلِّي لكمتُ الباب بهديتك، تناثر زجاجها فأصاب قناعتي بآدميتك في مقتل، والعطر الذي حمل رائحتك شل حركتي من جديد.

جوانز ما لا يجونز

لا أنفك أعقد التساؤل ثم أحل العقدة التي ربطتها، لا جواب يشفي غليل هذا العقل، أحاوره كمن يلقن قدرا يغلي قطرات من الماء.

النتائج تتبع التساؤل مباشرة، وإن لم يحدث فبعده بلحظات.

يطيل الحوار بفلسفته: وماذا لو كانت النهاية عكس البداية وبعيدة عن التوقعات؟.

- ومنذ متى كانت النتائج مواتية للتوقعات! ولكن هيا لنغامر لمرة واحدة.
- أخاف أن لا أتمكن من العودة.
- سنسلك طريقا جديدة.
- ويحك كيف تبسط الحلول؟!.
- هل تصدق أنني أفكر في التخلص من ثقلك في رأسي، أفكر في استئصالك والمضي دونك، فأنا العاقل الوحيد في هذه

المدينة المجنونة، الباحث عن تشريع جواز ما لا يجوز.

نافذة

أتعلم ماذا تعلمت خلال الأربعين عاما التي مضت من عمري، الصمود،نعم الصمود... فلم تضعفني أشد المواقف قسوة، ولا أحلك الظروف سوادا.

وضع يده اليسرى خلف ظهره، وتقدم نحو الهيكل العظمي يشير له بإصبع شاهد يده اليمنى: خذ أنت مثلا، حاولت أن تكون محاربا قويا، ولكنك لم تستطع التصدي حتى لمشاكلك البسيطة، ميت الآن، لم تبق منك إلا عظام ضعيفة.

ضحك بهستيريا ودفع بالهيكل العظمي للخلف: أرأيت كم أنت ضعيف؟ حتى أن نكزة بسيطة أسقطتك... هذا ما أتحدث عنه، أنه كان يجب عليك مواجهة كل الصعوبات بقوة، والتعامل معها بحكمة، مع بقاء مشاعرك حية ومتوقدة، وعقلك متأهبا ومستعدا لأي طارئ.

نظر إلى الغرفة البيضاء والباب الموصد من الخارج: أن لا

تفقد ذاتك مثلي ،همس لنفسه نعم مثلي.

انطلق صوت سماعة في الخارج، تطلب من أحد الممرضين الإسراع إلى غرفة رقم (٤) في الطابق الثاني، فمريض التوحد هناك يعاني من حالة هستيرية.

ركض هو إلى نافذة صغيرة في أعلى الباب، فوقع بصره على ردهة مليئة بالأطباء والممرضين، وبعض المرضى يضحكون ببلاهة.. فأجهش بالبكاء.

في الأربعين من عمري

كنت قد ذكرت في كثير من المناسبات أن للمشاعر وقتها، وضوابطها التي تقيم الشخص ليأخذ مكانه ومكانته في قلوبنا.

وأن هذه المشاعر تأتي بعد تفكير يتبعه قرار، عاقلة أنا أو كنت.

إلى أن قابلتك، صاخب، مجنون تعيش دون ضوابط وروابط، حتى أنك دون مبدأ.

من جهتي حاولت التمسك بالتأني،وتوقعت منك الامتثال للصبر حتى أستطيع أن أتخذ قراري بحكمة، أضحك عندما أفكر بحكمتي التي اتصفتُ بها طوال عمري الأربعين، أو لأكون أكثر دقة ما اكتسبته منها بعد سن العشرين بسنوات.

والذي سحقته ونثرته وضيعته تحت قدميك كسيجارة أشعلتها للتو، بعد أن أومأت لي برأسك أن تعالي.

شخصية افتراضية

نقطة ضعفي تكمن في اندفاعي نحو الفرح.

رفعت يدها كطائر لما فوق رأسها، ثم أسقطت أصابعها مباشرة نحو الأرض،أكملت: هكذا.

ثم رفعت بيدها ثانية نحو السماء بسرعة: فيهرب مني كأنني وباء.

نظرت ناحيتي: لم أعد أبحث عنه... أتصدقين هذا؟.

فقد قالت لي صديقة كاتب:ما نبحث عنه ونبذل جهدنا للحصول عليه، يهرب منا ويبتعد عنا.

لهذا تركته يمضي في حال سبيله، وها أنا هنا أترقب عودته، وأنا على يقين أنه في طريقه إلي.

كانت منتشية، وعيناها تعانقان الأفق كأنها ترتب موعدا مسبقا معه.

وقفت لأغادر، فأمسكت كفي: لم أعرف للآن من أنتِ!.

ترددت، كيف أخبرها أنني من يكتب حكايتها: أنا عابرة سبيل.

- في حياة من؟ قالت بعفوية.

صدمني سؤالها، فكيف لشخصية افتراضية في قصة ما أن تزرعك في سؤال يقلب موازين حياتك، ويدفعك لتتوحد معها في مشهد انتظار الفرح؟.

عدت وجلست إلى جانبها،وهمست: عابرة سبيل في حياة شخص ما.

عابر سبيل

- حياها: صباحك ورد.
- صباحك بهاء ووجه سموح، ابتلعتها: صباح الخير.

أبعدت إصبع الشوكولاتة، وأخفت اللقمة تحت لسانها: صحتين... ضحك عندما لاحظ توترها واحمرار وجنتيها خجلا.

- على قلبك ، تفضل.

ليته يطرد الروتين ويجلس، يغلق الحاسوب ويملأ الوقت، يدغدغ المكان ليزهو.

- شكرا... كلك ذوق ، هل تدلينني على قسم المحاسبة!.
- الطابق الرابع، أول مكتب شمالا.

أتريد مني مرافقتك؟! ابتلعتها، ما أكثر الكلمات التي ابتلعتها بعد أن أطل برأسه من خلف الباب.

كيف لرجل على عجلة من أمره أن يخطف انتباهها ويكوره في عينيه، أو أن يلغي طعما حلوا كان يمر بسلاسة في فمها ليسد بخطواته التي تسابق بعضها إلى الطابق الرابع حلقها، وتدفع بتنهيدة لتطفو فوق شفاهها!.

عقلانية

عقلانيتي الملعونة، لا تفتأ تقرص أعصابي، وتغلق أبواب صدري، وتجبرني على مجالستي أوقاتا طويلة لوحدي معي.

مواجهتي ليست بالأمر السهل، ففي كل مرة أخرج من معركتي مع نفسي خاسرة...حتى بعد أن أقدم لها براهيني وحججي الواهية تسخر مني وتستهزئ بي بقولها: إياكِ وخداعي.

تخرسني بعنفها، وأستاء من تأنيبها المستمر لي،وكأنني طفلة لم تتعد العاشرة من عمرها.

تستهل حديثها معي بمنطقية وحكمة عندما أحاول طمسها وتغييبها، فأرفع صوتي بالغناء، وأغلق أذني بأصابعي، وأغمض عينيّ عن خداعك، لأحتفظ بحبك خطيئة لا تغتفر.

أنانية مشروعة

▪ لم يأت منه الرد، ذاك الذي أنهكتها صورة وجهه المستدير بين أربعة أعمدة خشبية مزخرفة، مطلية باللون البني تتوسط حائط غرفة المعيشة:

▪ أعلم أنك لن تجيبني، ولكنني أشعر برغبة ملحة في التحدث إليك، كما كنتُ دائما في بدايات الصباح الذي يترتب عليه باقي النهار الأعرج... ذاك الذي ما تركنا في خلوة صباحية لوحدنا.

أتوق ليدك تهبط فوق أصابعي بهدوء فراشة، فتنفض قلبي، بعد أن تلحظ شرودي.

أتعلم أنني كنت أضبط ملامح وجهي على وضعية الجمود، كي لا تعلم أن مجرد لمستك تدب الروح في مشاعري، كنت أتمنى وقتها لو أرقص بين يديك، أن أقبلك.. أن أُجن بك، لأجلي، فقط لأجلي، أنانية أنا.

لم أميز ذاك الحزن المفاجئ الذي هرول لقلبي قبل وفاتك بساعات قليلة، ظننت وقتها بأنك لم تعد تهتم بي، وتحبني كما في السابق.

رغبتي المجنونة في أن أحتل سكناتك وتفكيرك حجب عني ملاحظة مرضك الذي أخفيته عني كي لا أحزن.

تلمست صورته وهمست: لكنني لا أشعر بالحزن الآن، أشعر بالموت فقط.

مكياج

لا أذكر آخر مرة استخدمت فيها المكياج، فلم يكن يعنيني أن أبدو جميلة في عيونهم..حتى أنني نسيت كيف يوضع.

بدا جهلي واضحا عندما لطخت أطراف عيني (بالمسكارا) التي ابتعتها يوم أمس..كنت محرجة جدا، أنظر حولي خوفا من أن يلمحني شخص أعرفه،بدوت كمن يبتاع مادة ممنوعات، سارعت في خطفها من يد البائع وزجها في حقيبة يدي، ثم فررت هاربة.

توقيتك في دخول غرفتي أغاظني، وخاصة أنني لطخت جفوني وما تحتها بالبقع السوداء الصغيرة.

كنت هناك تقف خلفي، يطالعك وجهي من المرآة، ألتفت ناحيتك في يدي علبة (المسكارا)، وفي الأخرى الريشة، وأنا أحاول منع نفسي من البكاء قهرا، وكل تفكيري منصب ماذا أفعل لتنظيف هذه الفوضى قبل حضورك.

رفعت يدي لأخفي خيبتي، واعتقدت أنها ستكون خيبتك أيضا بزوجة لا تتقن أبسط أمور الأنوثة المتمثلة في وضع مساحيق التجميل.

دعوت في سري أن تغادر الغرفة وتعفيني من الإحراج الذي شعرت به، ولكنك تقدمت نحوي... وأنت تضحك مسكت يديَّ:

- تعجبينني دون رتوش.
- أحبك كما أنت بريئة..بسيطة.
- أحب الطبيعة في وجهك الملائكي الذي يعكس كل طهر قلبك..أراني فيه نظيفا يخلو من الزيف.

عمق

هذا يومي الأول، ولا قدرة لي على تحمل العمق، والغرق في العتمة أكثر.

الماء المصبوب فوقي، والتربة الملتصقة برأسي كأخطبوط يثبت جثتي بلسان الأرض.

الياقة الضاغطة على رقبتي تخنقني، وشفتاي المنغلقتان على صرخة كبتتها قطعة قماش تقطر دما.

الصورة الأخيرة العالقة بين أهدابي لتطاير جمجمة جاري.. شظايا تعلقت برموشي.

والبرق الذي اخترقني بفعل رصاصة أفقدني القدرة على التحكم بهذا الجسد الهزيل.

كيف أحتمل ملابسي اللزجة في قبر جماعي؟!!.

الفهرس

التسلسل	عنوان القصة	الصفحة
٠١	الإهداء	٥
٠٢	سارقة العطر	٧
٠٣	أمل	١١
٠٤	عروس مراهقة	١٧
٠٥	قارب الموت	٢١
٠٦	لا أشبه أحدا	٢٥
٠٧	عصية على الشعور	٣١
٠٨	مشهد على لسان جثة	٣٥
٠٩	كحل أسود	٣٩
١٠	يوم نحس	٤٣
١١	ولادة	٥٣
١٢	أهنئك	٥٩
١٣	رجل الوحدة	٦٣
١٤	هل تخيلت	٦٥
١٥	شوزفريينا المشاعر	٦٩

١٦	تجاوزك ليس صعبا	٧٣
١٧	كبرياء	٧٧
١٨	غسيل	٧٩
١٩	نص مجنون	٨١
٢٠	غفلة	٨٣
٢١	ملامح	٨٥
٢٢	عاشقة الأماكن	٨٧
٢٣	مكانتك	٨٩
٢٤	جواز ما لا يجوز	٩١
٢٥	نافذة	٩٣
٢٦	في الأربعين من عمري	٩٥
٢٧	شخصية افتراضية	٩٧
٢٨	عابر سبل	٩٩
٢٩	عقلانية	١٠١
٣٠	أنانية مشروعة	١٠٣
٣١	مكياج	١٠٥
٣٢	عمق	١٠٧

مُسيّد المومني

Mosayad Almomani

حاصلة على شهادة البكالوريوس من جامعة اليرموك/ تخصص صحافة وإعلام- فرع علاقات عامة 2005، وتعمل مديرة مكتب الرئيس ورئيسية قسم العلاقات العامة و الإعلام في غرفة تجارة إربد، ومديرة تحرير المجلة الصادرة عن غرفة تجارة إربد.

- **العضوية:**
  - عضو رابطة الكتاب الأردنيين، وعضو الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب.
  - أمين سر رابطة الكتاب الأردنيين فرع عجلون لدورتين متتاليتين.
- **الأنشطة:**
  - نشرت لها العديد من القصص القصيرة والخواطر في مجلات وصحف محلية وعربية وعالمية، وعلى بعض المواقع الإلكترونية، كما نشرت العديد من المقالات الساخرة في عدد من المواقع الإلكترونية، بالإضافة إلى مشاركاتها في الأمسيات القصصية، والندوات الروائية، واللقاءات الإذاعية والتلفزيونية، والحوارات الصحفية.
- **صدر لها:**
  - مجموعة قصصية "مسافات مُفتعلة" عام 2013، عن وزارة الثقافة الأردنية ضمن فعاليات عجلون مدينة الثقافة الأردنية.
  - رواية "خطوة في المنتصف" عام 2016، عن دار أمجد للنشر والتوزيع بدعم من وزارة الثقافة الأردنية.
  - رواية لست من طين عام 2020 عن دار كفاءة المعرفة للنشر والتوزيع.

ISBN 978-9923-39-144-0

دار كفاءة المعرفة
طباعة • نشر • توزيع

kafaat.almaerifa
kafaat.almaerifa@gmail.com
+962796803670 +962799291702 +962796914632